مباني الفقه الإسلامية من منظار القرآن الكريم
مجال الحدود والقوانين الإلهيّة ومعيارها ومبانيها

السيد منذر الحكيم

استاذ الحوزة العلمية / قم المقدسة

Buildings of Islamic jurisprudence From the point of view of the Holy Quran The field of divine limits and laws their criteria and premises

Seyad Monther Al-Hakim

Professor of the scientific seminary in Qom Al-Quds

ملخص البحث

تشير السعة والشموليّة اللتان تميّزان بحث العدل في القرآن الكريم إلى الأثر الأساسيّ والتأسيسي الذي يتركه هذا الموضوع في سائر الأبحاث القرآنيّة، ومن هنا كان هدف هذه المقالة بيان موقعيّة العدل في جميع الحدود والقوانين الإلهيّة.

وفي طيّات بحثنا هذا ستطالعنا المناهج العامّة ، والأساسيّة لتحقيق أهداف التشريع من وجهة نظر القرآن الكريم، وسنعمل على دراستها وتسليط الضوء عليها. وتتمثّل تلك الأهداف بما يصبو إليه أنبياء الله من تحقيق للقسط والعدل الشامل في المجتمعات الإنسانيّة.

وفي مقابل ذلك، فقد تمّ التأكيد في هذه المقالة على ضرورة الالتفات بدقّة إلى أصول التشريع ودورها الأساسي في عمليّة الإلمام بالقوانين ، والأهداف وكيفيّة العمل بالقوانين. وباتضاح أنّ العدل هو الأساس في سَنّ التشريعات ووضع القوانين الإلهيّة في القرآن الكريم مما يسهم في حلّ الكثير من العقد ، وترتفع العديد من الإشكاليّات المثارة حول هذا الموضوع.

كلمات المفتاحية : الفقة الإسلامية ، القرآن الكريم، القوانين الإلهيّة .

Abstract

The breadth and comprehensiveness that characterize the study of justice in the Holy Qur'an indicates the basic and foundational impact that this subject leaves on all Quranic studies. Hence the aim of this article was to show the location of justice in all divine limits and laws.

In the folds of our research we will learn about the general and basic approaches to achieving the goals of legislation from the point of view of the Holy Qur'an and we will study and shed light on them. These goals are represented by what the prophets of God aspire to achieve justice and comprehensive justice in human societies.

On the other hand it has been stressed in this article on the need to carefully pay attention to the origins of legislation and its essential role in the process of knowing the laws the objectives and how to implement the laws. And it becomes clear that justice is the basis for enacting legislation and setting divine laws in the Holy Qur'an which contributes to resolving many complexes and raises many problems raised on this subject.

Keywords: Islamic jurisprudence, the Holy Quran, divine laws.

الاصطلاحات :

الفقه الإسلاميّ، القوانين، الحدود الإلهيّة، العدل، الحقّ، الميزان، الظلم.

أسس البحث في نظرة عامّة :

إنّ إلقاء نظرة عامّة على آيات القرآن الكريم يبيّن لنا بوضوح أنّ مجال تشريع الأحكام الإلهيّة والهدف منها وفلسفة تشريعها تتلخّص في أصلين اثنين:

"نفي الظلم، وتحقّق العدل"

و بالنظر إلى هذين الأصلين، فإنّ جميع الأحكام والمقرّرات الإلهيّة تتكفّل في رسم الحدود الكميّة والكيفيّة لنفي الظلم واستتباب العدل، وبذلك نصل إلى تفسير منطقي مقبول وشامل لعمليّة محاربة الظلم ونشر العدل.

لقد طُرح هذان الأصلان في كلّ سورة من سور القرآن الكريم تقريبًا، وفي جميع الأحكام الإلهيّة، وبذلك ظهرت أهميّتهما. وبالنظر إلى هذين الأصلين فإنّ تجلّي العدل الإلهيّ للإنسان في جميع الأحكام والحدود سيكون من التجلّيات والمظاهر التي تشدّ إليها ذوي الألباب. كما أنّ انتفاء الظلم سيكون مقدّمة لتحقّق العدل، وإقامة العدل ستكون من أجل بناء الإنسان المعتدل والمتعادل والمتكامل.

ومن هذا المنطلق، يمكن لأصول وأسس البحث أن تُطرح إجمالاً في ما يلي:

١- إنّ الهدف من بعثة أنبياء الله والأهداف الكبرى للتشريع في كلّ الشرائع السماويّة هو القيام بالقسط وتحقيق العدالة في أبعاد المجتمع الإنسانيّ كافّة.

٢- لا بدّ للفقه الإسلاميّ وهو الذي يشمل كافّة القوانين الإلهيّة أنْ يكون عادلًا في ذاته وناشرًا للعدل وداعيًا إليه عند تنظيمه للأفعال والسلوكيّات الإنسانيّة.

٣- يؤمّن المنطق القرآنيّ الأرضيّة اللازمة لتحقيق القيام بالقسط ، والناس هم الذين يعملون على تحقيق ذلك عبر معرفتهم بالقوانين الإلهيّة العادلة، وإيمانهم بها، واختيارهم لها، وتطبيقهم الصحيح والاختياريّ لها في نواحي حياتهم كافّة .

٤- إنّ الصراط المستقيم يضع التكامل المنطقيّ للناس في مسير العبوديّة الحقّة لله الواحد الأحد، وستكون نهاية هكذا مسير انتفاء الظلم في كلّ أبعاده وارتفاعه عن جميع نقاط العالم، وسيؤدّي إلى سيطرة العدالة على المجتمع الإنسانيّ وعلى مختلف المستويات.

٥- إنّ عبوديّة الإنسان لله الكامل المطلق مع مراعاة الحدود والقوانين الإلهيّة في الحياة الإنسانيّة ستؤدّي بالإنسان إلى الكمال المطلق، كما ستضمن له تحقيق الكمال النسبيّ أيضًا.

٦- إنّ العدل الإلهيّ في عالم التكوين هو أوّل أسس التقنين الإلهيّ العادل، وقد رُوعيت هذه العدالة في نظام التشريع وفي الحدود الإلهيّة، لذا فالعدل هو: أساس الحدود الإلهيّة ومبناها ومعيارها وميزتها. ومن طريق التناغم ما بين العدل في التكوين والعدل في التشريع، سوف يتمّ فهم معنى الثواب والعقاب، وسيتحولان إلى ضرورة لا تقبل الإنكار.

٧- إنّ جعل القرآن الكريم العدل هو الأساس والمبنى والمعيار والصفة المميّزة ، يعدّ مؤشّرًا إلى أنّ أساس مباني الفقه الإسلاميّ هو العدل؛ حيث يتجلّى في كلّ حدّ من حدود الله تعالى.

مكانة العدل في التشريع والفقه القرآني:

بالتأمّل في آيات القرآن الكريم نرى "العدل" متجلّيًا في جميع وصايا شريعة الإسلام السماويّة:

١) إنّ الهدف من بعثة أنبياء الله ﷺ وخاصة خاتمهم صلى الله عليه وآله هو "إقامة العدل" في المجتمع الإنسانيّ، حيث قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[١] ، ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾[٢].

٢) يمكن أن تتلخّص كافّة الأوامر الإلزاميّة الإلهيّة المتوجّهة إلى الإنسان في العدل، كما أنّ كافّة قوانين الفقه تدور على محور العدل والإحسان: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

(١) سورة الحديد، الآية ٢٥.
(٢) سورة الشورى ، الآية: ١٥.

وَالْإِحْسَانِ ﴾[1].

٣) لقد تمّ التأكيد على العدل في نظام الأسرة، وفي السلوك الاجتماعيّ الأسريّ: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾[2].

٤) وفي النظام القضائيّ الإسلاميّ يعدّ العدل أصلًا أساسيًّا وضرورة من الضرورات: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾[3].

٥) وكذا عند أخذ الشهادة لإثبات حقٍّ ما، لا بدّ أن يكون الشهداء عدولًا: ﴿ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾[4].

٦) ولا بدّ من رعاية العدل في كتابة العقود: ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾[5].

٧) ولا بدّ من العدل في فضّ النزاعات بين أفراد المجتمع: ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ﴾[6]، في إشارة إلى الإصلاح بين الزوجين.

٨) وقد أوصى الله تعالى بالعدل في القول أيضًا: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[7]؛ فلا يُترك العدل بذريعة الروابط العائليّة.

٩) صيانة "العدل" من أيّ نوع من الخلل والتشويه: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾[8].

١٠) الهدف والغاية من إقامة العدل هو بلوغ تقوى الله: ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[9].

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣.
(٣) سورة النساء الآية: ٥٨.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١٠٦، ويرجى مراجعة آيات سورة المائدة: ٩٥، وسورة الطلاق: ٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(٦) سورة الحجرات، الآية: ٩.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.
(٨) سورة النساء الآية: ١٣٥.
(٩) سورة المائدة، الآية: ٨.

١١) التقوى أو الانضباط والالتزام الذاتي بتمام المقرّرات والحدود الإلهيّة ، هي الهدف الأساس من تشريع الأحكام والحدود الإلهيّة.

فعن طريق مراعاة الحدود الإلهيّة، وأحكام الشرع الإسلاميّ المبين يتحقّق العدل؛ وبذلك يقترب الإنسان من التقوى، وعبر الإحسان سيتقدّم تقدّمًا باهرًا في مراتب الكمال.

العلاقة بين العدل والحقّ في القرآن:

العدل هو مراعاة الحقّ، ويؤدّي أيّ نوع من الزيادة والنقيصة ، أو الإفراط والتفريط فيه إلى ضياع الحقّ، وهذا الحقّ هو بمعنى "ما يجب أن يكون"، وتشير الآيتان الشريفتان التاليتان إلى هذا المعيار:

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[١].

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[٢].

الحقّ هو ذاك المعيار الذي عن طريقه يهتدي الناس وعلى أساسه تتحقّق العبادة.

والعدل هو مراعاة ذلك الحقّ أو الحدّ الواجب والذي يعدّ تجاوزه مصداقًا للظلم؛ فالعادل يطلق على من يراعي الحدود والحقوق المعيّنة، وقد أشير في سورة الرحمن إلى وجود هذا النوع من المعيار لإقامة العدل: ﴿ٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾[٣].

ومن هنا أمكن أنْ ننتهي إلى النتيجة التالية، وهي أنّ في مفهوم "العدل" عنصرًا أصليًّا يتقوّم به، ونظرًا لوجود هذا العنصر جُعل "العدل" معيارًا وميزانًا ، وهذا العنصر الأساس هو الحقّ، والذي ربّما يعبّر عنه بـ "الحدّ" حينًا و "الميزان" حيناً آخر. والحقّ هو كلّ ما كان لائقًا بشيء من الأشياء وكان مما ينبغي له.

(١) سورة الأعراف ، الآية: ١٨١.
(٢) سورة الأعراف ، الآية: ١٥٩.
(٣) سورة الرحمن ، الآية: ٧ – ١٠.

وقد صرّح القرآن الكريم باهتمامه الخاصّ بالحقّ أو الحدّ؛ فهو يعدّ رعايته صراطًا مستقيمًا ، كما أنّه يؤكد أنّ من الظلم التجاوز عن الصراط المستقيم، وعدم مراعاة الحقّ وتعدّيه؛ يقول تعالى:

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (١).

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ (٢).

﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٣).

ويفهم من تعريف الظالم بالمتجاوز على الحدود: أنّ العادل هو المراعي لتلك الحدود، وأنّ الحدود الإلهيّة هي تلك الحقوق التي لا بدّ من مراعاتها.

العدل والأبعاد الوجوديّة للإنسان :

يمكن لبحث العدل أنْ يجد مجالًا له في كافّة العلوم الإسلاميّة، وحيث أنّ العلوم الإسلاميّة تنقسم إلى : علوم نظريّة وأخرى عمليّة ؛ فيمكن أنْ نجد بحث العدل عنوانًا للعلوم النظريّة بدءًا من "الفلسفة" و "الكلام" وانتهاءً بـ "فلسفة الأخلاق". وكذا في العلوم العمليّة كـ "علم الأخلاق" (الفقه الأكبر) و "علم الفقه" أو "الحقوق" (الفقه الأصغر)؛ حيث نجد أنّ العدل هو أصل وجود كافّة الكمالات الأخلاقيّة والقوانين السلوكيّة (٤)؛ فقد ذُكر العدل والظلم كأوّل وأهمّ مصداق للحسن والقبح العقليّين والذاتيّين، ومن الواضح أنّ صفة الكمال الإلهيّ التي بُحثت في كثير من الأهميّة وفسّر على ضوئها نظام الخَلق الأحسن هي نفس صفة العدل الإلهيّ هذه، والتي تمثّل التجلّيَ لكافّة كمالات الكمال المطلق، وينتهي الهدف من بعثة الأنبياء وفلسفة تشريع القوانين الإلهيّة وغاية سنّها في حياة الإنسان إلى تحقيق التكامل الوجوديّ للإنسان، وقد بيّن القرآن الكريم هذا التكامل الوجوديّ في قيام

(١) سورة البقرة ، الآية: ٢٢٩.
(٢) سورة الطلاق ، الآية: ١.
(٣) سورة هود ، الآية: ٥٦.
(٤) يتظر جامع السعادات ج ١، ص ٦٨-٧٥.

الناس بالقسط حيث يقول: ﴿ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[1]، وقد طرح إمكان تحقّق هذه الغاية الإلهيّة الكبيرة من حياة البشر في فلسفة الغيبة الكبرى لوليّ الله الأعظم عجّل الله فرجه، كما وردت كوعد إلهيّ محتّم للمؤمنين المجاهدين على سبيل العمل الصالح، وبكامل الوضوح نجد أنّ جملة ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾[2]، تشير إلى أنّ الأمن العام والمستوعِب لمختلف جوانب حياة الإنسان هو علامة على تحقّق العدالة الشاملة والتامّة عند ظهور الإمام، وإنّ انتفاء كافّة أنواع الشرك ومراتبه من ساحات المجتمع الإنسانيّ بالإضافة إلى حاكميّة التوحيد الإلهيّ بغير منازع هي علامة أخرى على وصول البشريّة إلى تمام قابليّاتها الوجوديّة، وعبر هذه العدالة الداخليّة والخارجيّة والمستوعبة لكافّة الأبعاد الوجوديّة يتحقّق هذا الهدف الكبير.

ولا بدّ لتحقيق هذا الهدف الكبير من وضع برنامج شامل متناسب مع جميع الاستعدادات والكمالات الوجوديّة لأفراد البشر كافّة؛ فيهديهم في مختلف الظروف والمراحل، ويقودهم نحو هذا الهدف الأعظم، ويسير بهم في ما يليق من طرق التكامل، وذلك عبر ضبطه لسلوكهم وعملهم، منتهيًا من هذا الصراط المستقيم إلى إيصال كلّ منهم إلى كماله اللائق به.

وسيمثّل العدل هنا ميزان تكامل الإنسان على صعيد الفكر والعمل، وستنتظم كافّة الأبعاد الفرديّة والشؤون الاجتماعيّة في نظام اجتماعيّ عادل خاضع للبرنامج الإلهيّ، وبذلك سيتجلّى العدل الإلهيّ في ميدان التشريع، وفي كافّة الأطر التي تقبل التقنين والتنظيم في المجتمع الإنسانيّ.

وبعدّ العدل الإلهيّ في نظام التكوين هو الأساس والأصل للعدل في نظام التشريع، بالإضافة إلى كونه الأصل لعمليّة تقنين وتنظيم حياة الإنسان الاختياريّة في هذه الدنيا. وسيكون كلّ نوع من نوعي العدل هذين أساسًا للتنظيم والإدارة وقيادة الإنسان نحو

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.
(٢) ورة النور، الآية: ٥٥.

الأهداف المعيّنة على أساس العدل أيضًا. كما أنّ العدل في الآخرة وعالم الجزاء هو في الحقيقة عدل في وضع نظام القيم، وفي الوصول إلى الغاية والنهاية.

ومن جهة أخرى نرى أنّ البحث حول العدل من دون معرفة كاملة بالإنسان سيكون بحثًا سطحيًّا ناقصًا، وإذا ما تمّ الالتفات إلى كافة الأبعاد الوجوديّة للإنسان، اكتسب العدل معنى واسعًا وشاملًا.

ولا بدّ في هذا المجال من النظر إلى الإنسان من جانبيه الفرديّ والاجتماعيّ، بحيث تكون كافّة الأبعاد الوجوديّة للفرد وللمجتمع الإنسانيّ تحت مجهر العدل، وستخضع لهذا المعيار ولهذا المرصد للحركة التكامليّة للفرد والمجتمع.

ويمكن للرسم البيانيّ الآتي أن يكوّن لنا تصوّرًا عامًا

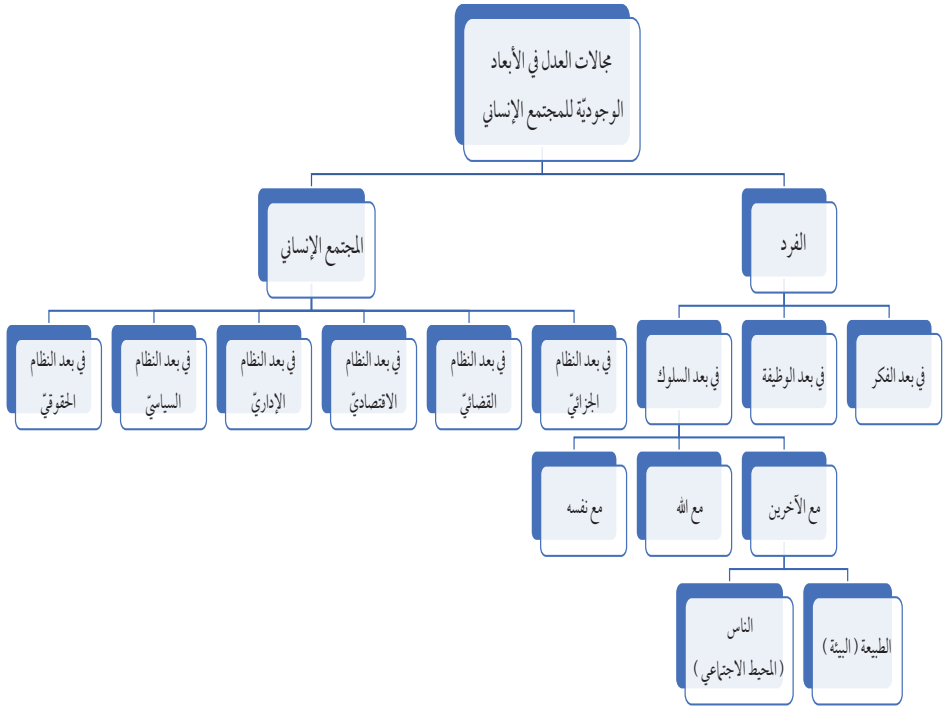

إنّ الصلة الوثيقة بين الفرد والمجتمع، والعلاقة المتبادلة بين العدل الفرديّ والعدالة الاجتماعيّة في عمليّة التنظيم المتناسبة، وأثناء العمل على تحقيق الأهداف الإلهيّة في الشريعة العادلة، كلّ ذلك يتطلّب منهجًا ومراحل عمليّة خاصّة، وقد تمّ التأكيد على هذا البعد في القرآن الكريم؛ فأنيطت التغيّرات الاجتماعيّة جميعها بالتبدّل الداخليّ لأفراد المجتمع، وطرح أصل ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[1] كسنّة لا يمكن الخروج عنها. ومن هنا، فسوف يكون تغيّر الأفراد نقطة الانطلاق لتغيّر المجتمع، وسنجد في القرآن الكريم برنامجًا خاصًّا يراعي البنية الداخليّة للإنسان.

العدل والعدالة الاجتماعيّة:

بالارتكاز إلى السنّة الإلهيّة التي لا تختلف ولا تتخلّف، والواردة في العديد من الآيات القرآنيّة، والتي تؤكّد عدم إمكان وصول الإنسان إلى شيء إلّا نتيجة سعيه وجهده، والتي تعبّر عنها الآية: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[2]، وكذا بالنظر إلى مفاد الآيات الكثيرة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3]، والذي يختصّ بالجزاء الأخرويّ، وبملاحظة الآيات التي ترجع كلّ تحوّل اجتماعيّ إلى التغيّر الداخليّ للأفراد كالآية الشريفة: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[4]، بالنظر إلى كلّ ذلك ننتهي إلى نتيجة مفادها أنّ النظام التشريعيّ الشامل والعادل يبدأ بالتغيير في سبيل تحقيق العدالة الاجتماعيّة من داخل الأفراد؛ فيعمل قبل أي شيء على إيجاد تغيير في فكرهم ورؤيتهم ووظائفهم وسلوكهم[5]، غير أنّه وبغية تحقيق عدالة اجتماعيّة شاملة قام بتقديم نظام سياسّي مقتدر وعادل، وجعل على رأسه أناسًا يمتازون بصفة العدالة الخالصة، مصونين عن أيّ انحراف أو اعوجاج؛ ليكون بمقدورهم تحقيق العدالة الاجتماعيّة وحلّ إشكاليّات التعارض بين

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣٩.
(٣) سورة الطور، الآية: ١٦، وسورة التحريم، الآية: ٧، وراجع أيضاً هذه الآيات من سورة النمل الآية: ٩٠، سورة يس الآية: ٥٤، سورة الصافات الآية: ٣٩، سورة الجاثية الآية: ٢٨.
(٤) سورة الرعد، الآية: ١١.
(٥) اجع: المدرسة الإسلامية ص ٩٩.

المصالح الفرديّة والاجتماعيّة.

قال النبيّ الأكرم ﷺ في جوابه لمن قالت له يومًا : " لا تعدل وأنت نبيّ ؟! قال: تربت يداك! إذا لم أعدل فمن يعدل ؟!"[1].

وبناء على ذلك، فقد تمّ بيان هذين السبيلين وثيقي الترابط في القرآن الكريم من أجل الوصول إلى العدالة الاجتماعيّة، وتشير آيات القرآن التي أمرت النبيّ بالحكم على أساس الحق والعدل، وجعلت أولي الأمر مطاعين كالنبيّ إطاعة كاملة وفي مختلف الجوانب وبغير تردّد من المطيع، تشير هذه الآيات إلى هذا الخط التشريعيّ الذي يضمن تحقّق العدالة الاجتماعيّة في المجتمع البشريّ.

رعاية عمليّة تحقّق العدل في القرآن الكريم :

لم يكتف القرآن الكريم بالوصيّة بالعدل أو تشريع القوانين العادلة فقط، بل عمل على طرح برنامج كامل لتحقيق العدالة، ويبرز كمال هذا البرنامج من النظر في النقاط التاليّة :

١. إنّ الله العادل قد ربّى بنفسه الأفراد العدول: "واصطنعتك لنفسي"[2].

٢. يمثّل هؤلاء العدول من الناس الذين اصطفاهم الربّ العادل القدوة المرجوّة للمجتمع الإنسانيّ، وقد جعلهم الله مبلّغي رسالاته إلى الناس، والمؤتمنين على وحيه بينهم.

٣. تتضمّن الرسالات الإلهيّة للإنسان نظامًا عادلًا (عادلًا في نفسه ومحقّقًا للعدالة)؛ ذلك أنّه قد نفى عن نفسه أنواع الظلم قائلًا : ﴿ ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدا ﴾[3].

٤. لقد تمّ في هذا النظام العادل وضع البرامج لكلّ فرد من أفراد الناس، وفي مختلف الأبعاد والمستويات.

٥. إنّ أوّل وأهمّ وسيلة لتربية الإنسان في صراط العدل والحقّ هو تفعيل قوّة العقل مع حفظ الإرادة والاختيار، مضافاً إلى غرس الميل إلى الحقّ والعدل في دخيلة وجود هذا

(١) الكافي ج ٦، ص ١٣٩، ح ٥.
(٢) سورة طه ، الآية: ٤١.
(٣) سورة الكهف ، الآية: ٤٩.

الإنسان: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[1].

٦. إنّ تبيين أصول العدالة، ثمّ بعد ذلك السبل العمليّة والقابلة للتنفيذ من أجل الوصول إليها، وبيان مصاديق العدالة وكذلك المنهج الصحيح لاستنباط التكليف في موارد الحاجة، كل ذلك هو مرحلة أخرى أمّنتها الشريعة والمصادر المتينة لفهم الدين؛ لتضعها بعد ذلك بين يدي الإنسان.

٧. لقد قام القرآن الكريم بعمليّة البناء الثقافيّ معتمدًا أفضل الأساليب المتاحة، ويمكن إدراك منهجه في ذلك والأصول التي اعتمدها للوصول إلى هذا الهدف عبر قراءةٍ لآيات القرآن الكريم تراعي ترتيب النزول في عصر الرسالة، وتعدّ التجربة الموفّقة لعصر النبيّ الأعظم ﷺ خير دليل على نجاح هذه العمليّة في تلك الرحلة المعاصرة لنزول الوحي، وأنّها قابلة للتحقّق في عصرنا الحاضر أيضًا[2].

٨. إنّ تربية الإنسان غير ممكنة إلّا في نظام عادل في نفسه ومطبّق للعدالة.

٩. إنّ وجود القدوة الخالصةِ للعدالة (المعصوم يعني المصون من أيّ نوع من الانحراف) هو ضرورة تشريعيّة وتربويّة.

١٠. ومن طريق إشراف الناس العدول والمطبّقين للعدالة كالأنبياء المعصومين والأئمة المصونين من أيّ انحراف تتحقّق تربية المجتمع البشريّ والسير به نحو كمال الإنسانيّة المنشود.

١١. كما ستتعهّد النخب الخاضعة لتربية هؤلاء بنشر العدل في العالم.

١٢. ومع الخبرة الكافية التي تتمتّع بها النخبة من أنصار أهل البيت عليهم السلام في تشخيص المشكلات، ومع تحقّق هذه التربية واقعاً في ذواتهم على مرّ التاريخ، فإنّا نجد في ذلك خير

(١) سورة الشمس، الآية: ٨.

(٢) ن أحبّ التوسّع في موضوع إمكان الاستفادة من ترتيب نزول السور في العصر الحاضر، فهناك مقالة للكاتب في تعريف ونقد كتاب «التفسير الحديث»، والذي يتناول تفسير القرآن وفق ترتيب النزول، وقد نشرت في مجلّة الحياة الطيّبة، العدد ٨.

دليل على كون الطرح القرآنيّ في تربية الإنسان العادل والباحث عن الكمال طرحًا عمليًّا إيجابيًّا وناجحًا.

مراحل نشر العدل في القرآن الكريم :

كبير هو الفاصل الزمنيّ بين مرحلتي العمل على تطبيق العدل ومرحلة انتشاره واستتبابه، ويتطلّب هذا الفاصل أجيالًا وقرونًا، جهادًا وإدارة وتنظيرًا، ومدافعة للملمات.

وقد عمل نبيّ الإسلام ﷺ ضمن أعمال تربيته للنخبة على إعداد مجموعة من الأفراد اقتصر عليهم إلى أنّ أُمر في المرحلة المناسبة بدعوة عشيرته الأقربين، وهذا ما يشير إلى ضرورة التوجّه إلى دائرة العائلة وتربية الـ (الآل)؛ فإنّه لا بدّ من بذل الجهد في ذلك مقدّمة لتحقيق الحماية، وإيجادًا للقوّة المعتمدة؛ للانتقال إلى فئات اجتماعيّة أكبر ودوائر أوسع.

وهكذا، وبجهوده ﷺ المصحوبة بالمساعي الدؤوبة للنخبة، وفي ظلّ حماية العشيرة، استطاع النبيّ ﷺ مواجهة الضغوط الاجتماعيّة الثقيلة، ليحطّم السدّ الحديديّ المنيع الذي كان يحيط بالوثنيّة وعبادة الأصنام، وذلك بتكوين أمّة قادرة على تحمّل ضغوط أعداء الرسالة، وعبر قيادة هذه الأمّة نحو تشكيل دولة إسلاميّة، وقد خطى بنجاح نحو تحويل الدولة إلى دولة تلقي بظلالها على البشريّة أجمع. كما تمكّن بكشفه كامل الخطط الهادفة إلى إزالة هذه الدولة، وبتهيئته الحلول المنطقيّة والمتناسبة مع الواقع الاجتماعيّ لكلّ ما تواجهه هذه الدولة من مشكلات، تمكّن بكلّ ذلك من تنمية وإثمار تلك البذرة السالمة التي ألقاها في المجتمع الإنسانيّ. وهكذا صار بمقدوره أنْ يأخذ بيد البشريّة نحو مجتمع عادل، وذلك بما غرس فيه من مبادئ المقاومة والصمود أمام الانحرافات والمشكلات المتتابعة التي قد تعصف به، وقد أعدّ لتحقيق هذا الهدف الكبير قائدًا يليق به، وها هو يقضي القرون المتتالية لتحقيق مقدّمات هذا الهدف، ولتربية أجيال من الناس تتناسب في مستواها مع عظمته. وهذه الحركة التأريخيّة هي خير مؤشّر على المسير الطبيعيّ والمنطقيّ للرؤية القرآنيّة في نشر العدالة[1].

(١) تمّ تسليط الضوء على هذا المنهج في المجلّد الرابع عشر من كتاب "پيشوايان هدايت" والذي هو أحد

وقد أوضحت آيات القرآن الكريم هذا المسير وأمضته، ويمكن اكتشاف ذلك بالتأمل في الآيات التي تتحدّث عن المراحل التالية:

مرحلة إعداد إمام وقائد البشريّة: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[1].

مرحلة تربية النخبة: "لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية[2]"[3].

مرحلة تشكيل المهد الآمن للحركة الاجتماعيّة : "وأنذر عشيرتك الأقربين"[4].

مرحلة تكوين الأمّة: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾[5]، و ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[6]، و ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[7]، و ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[8].

٥. مرحلة النظر في معطيات الأمّة والعمل على إعادة صياغتها، وتنقيتها من الشوائب: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن

مؤلّفات كاتب هذه المقالة.

(١) سورة الضحى ، الآيات: ١ – ٣.

(٢) سورة الحاقة ، الآية: ١٢.

(٣) رد في الأحاديث المستفيضة أنّ «الأذن الواعية» إشارة إلى الإمام عليّ عليه السلام ربيب النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد جعله خليفة من بعده ليقوم مقامه خير قيام فقال: «قد اخترت من اختاره الله لي عليكم علياً» بحار الأنوار ج ٣٨ ، ص ٢٥٤ .

(٤) سورة الشعراء ، الآية: ٢١٤ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية: ٨٦ .

(٦) سورة الأنفال ، الآية: ٦٣ .

(٧) سورة التوبة ، الآية: ٢٥.

(٨) سورة البقرة ، الآية: ١٤٣.

يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (١)، و ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُواْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ (٢)، و ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٣).

مرحلة إيكال الأمور إلى الإمامة واستمرار التربية من خلالها: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٤)، و ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٥)، و ﴿... الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ... ﴾ (٦).

مرحلة الانتصار النهائيّ وتحقّق أهداف الرسالة: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٧)، و ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا ﴾ (٨).

(١) سورة التوبة، الآيات: ١٠٧ – ١٠٩.
(٢) سورة التوبة، الآيات: ٦٤ – ٦٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.
(٤) سورة المائدة الآية: ٥٥.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٧.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٧) سورة التوبة، الآية: ٣٣، وسورة الصف، الآية: ٩.
(٨) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

لا وجود للظلم ولا للممارسات الظالمة :

بالنظر إلى أنّ الهدف الأقصى من خلقة الإنسان ، ومن بعثة أنبياء الله يتمثّل في تحقّق السعادة وتكامل الإنسان، فإنّ العدالة والاعتدال في جميع المراحل وفي كافة الأبعاد الوجوديّة للإنسان هما الطريق الأوحد لتحقّق تلك السعادة وذلك التكامل المنشود.

والقرآن الكريم إذ يؤكّد على أهميّة الاعتدال والعدالة: ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[1]، وإذ يجعل التقوى علامة على تكامل الإنسان، فإنّه يريد بذلك أنّ أيّ نوع من الظلم والممارسات الظالمة هو تجاوز لحدود العدالة والاعتدال: ﴿ لا تَظْلِمُونَ ولا تُظْلَمُون ﴾[2].

ووفق هذا المعيار يعمل القرآن على تنظيم الخطط وتقديم البرامج الفرديّة والاجتماعيّة.

القرآن ومحاربة الظلم :

لا يمكن للعدالة أن تتحقّق وتسود بغير محاربة الظلم، وقد أكّد القرآن الكريم مرارًا على ضرورة السيطرة على الظلم والقضاء على أيّ شكل من أشكاله. ولذا كانت محاربة الظالمين، والعمل على منع صدور الظلم عنهم من الفرائض المهمّة التي بالغ القرآن الكريم في الأمر بها.

وقد بيّن هذا الكتاب الإلهيّ في مقاطع مختلفة منه ضرورة ذلك وفصّل كيفيّة المحاربة، عادّا إيّاها من أهمّ أهداف الأنبياء[3]:

" لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ (في الحروب) وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ (لحفظ العدالة أيضاً) وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (مستغن عن الخلق)"[4].

(١) سورة المائدة ، الآية: ٨.
(٢) سورة البقرة ، الآية: ٢٧٩.
(٣) راجع : تفسير نمونه ج٢٣ ص ٣٧٠-٣٧٦ ، تفسير الآية ٢٥ من سورة الحديد، والآية ٢١٣ من سوره البقرة.
(٤) سورة الحديد ، الآية: ٢٥.

كما يرى القرآن الكريم أنّ خصلة محاربة الظلم هي جزء لا يتجزّأ من الإيمان، وأنّها من الصفات الذاتيّة للمؤمنين. وهو يعدّ تعاليم الدين والمبادئ التي ينشرها الأنبياء عاملًا في محاربة الظلم، كما يعدّ هذه المواجهة في المقابل أساسًا لتلك التعاليم الدينيّة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض الوسائل المناسبة لمحاربة الظلم، كما نبّه على نقاط مهمّة فيه نظير: "التوجّه نحو أماكن الظلم ومنابعه الأساسيّة"(١)، و "توفّير القيادة الرشيدة"(٢)، و "امتياز الطاقات البشريّة المحاربة للخصائص المطلوبة"(٣)، و "الدعاء والعبادة"(٤)، و... وقد بالغ القرآن الكريم في الاهتمام بأمثال هذه الوسائل حتى أشار إلى أهميّة وتأثير "الشعر" أيضاً(٥).

ومن آثار اجتناب الظلم ومحاربته هو شيوع حالة "الأمان"، وتبعاً لذلك انتشار حالة الرفاهية ورغد العيش في الحياة الدنيا، وقد بيّن هذا العنصر المهمّ في القرآن الكريم متوجّهًا إلى مخاطبيه بصيغة الاستفهام، تعبيرًا عن مزيد التأكيد عليه، وذلك في معرض المقارنة بين أهل الإيمان والظالمين ضمن نقله حادثة احتجاج إبراهيم عليه السلام مع عبّاد الأوثان(٦)، وما اعتُمدت صيغة الاستفهام هذه إلاّ لأنّ المخاطب فيها سيدرك مع السؤال بداهة الجواب، ووضوحه أيضاً.

إذاً فـ "الأمان" و "الرفاهية" هما نتيجتان طبيعيّتان لمحو الظلم واستتباب العدالة.

والنتيجة الأخرى لمحاربة الظلم والقضاء عليه ، هي الوصول إلى الراحة الأخرويّة والتمتّع بـ "المغفرة الإلهيّة" في دار البقاء(٧).

ومن مجموع النتائج التي يشير إليها الله تعالى لمحاربة الظلم يمكن أنْ نستنتج أنّ كافّة

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٠ – ١٦ و سورة البقرة الآيات: ١٩٠ – ١٩٤، وسورة التوبة الآية: ١٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ٧٥.
(٣) سورة النساء، الآية: ٧٥.
(٤) سورة النساء، الآية: ٧٥.
(٥) سورة الشعراء الآيات: ٢٢٤ – ٢٢٧.
(٦) سورة الأنعام، الآيات: ٨١ – ٨٢.
(٧) سورة النساء، الآية: ١٦٨.

مستلزمات سعادة الإنسان وانخراطه في مسيرة التكامل والوصول إلى السعادة الأخرويّة والقرب من الله تعالى، إنّما تقبل التحقّق في ظلّ محاربة الظلم؛ وذلك أنّ القرآن الكريم أكّد على الوصول إلى الإيمان بما يمثّل من خطوة أولى في مسير تكامل الإنسان وسعادته في الحياة الدنيا، وبما هو شرط أساسي لتحقيق الأرضيّة اللازمة للرقيّ الماديّ والمعنويّ للوصول إلى المغفرة والسعادة الأخرويّة، ولم يكن ذلك التأكيد على الإيمان بكلّ عناوينه تلك إلاّ نتيجة وأثرٍ من نتائج وآثار محاربة الظلم.

إنّ تأمين كامل احتياجات الإنسان في الدنيا والآخرة مشروط من وجهة نظر القرآن الكريم بالاتصاف بخصلة محاربة الظلم ، والمضيّ في سبيل القضاء عليه داخل النفس وخارجها، وفي جميع مستوياته الفرديّة والاجتماعيّة.

القرآن وأساليب التخلّص من الظلم :

لا بدّ للإنسان ليكون في مأمن من الوقوع في شراك الظلم أو السير في طريقه أنْ يمتلك الوعي الكافي والمعرفة الصحيحة بالحق والباطل والحدود الإلهيّة، ثمّ معرفة مصاديق العدل والظلم. ويتحدّث القرآن بعد ذلك عن عوامل أخرى ينبّه الإنسان إليها؛ فيشير في نقله لقصة النبيّ يوسف عليه السلام إلى ضرورة الالتجاء إلى الله ، وأهميّتها في النجاة من ارتكاب الظلم[1].

كما يعدّد القرآن الكريم طرق التخلّص من الظلم لأولئك الذين وقعوا في فخّه من حيث لا يشعرون ثمّ ندموا على ذلك؛ كي ينجو من يريد النجاة منهم من شراك الظلم بعثوره على طريق الحقّ واتباعه .

يذكر القرآن الكريم العديد من الطرق للتخلّص من الظلم، ويمكن بعد التأمّل فيها أن نجد أنّ أوّل خطوة في الرجوع إلى المسير الصحيح والتخلّص من الظلم تتمثّل بـ "الإقرار والاعتراف" بفعله وارتكابه.

(١) سورة يوسف ، الآية: ٢٣.

ففي قصة النبيّ يونس عليه السلام يبيّن القرآن الكريم أنّ اعترافه بالظلم الذي صدر عنه كان هو العامل المؤثّر في العفو عنه[١].

وفي المرحلة اللاحقة للاعتراف بالظلم هناك الاستغفار والتوبة منه؛ فهو يوجب نجاة التائبين ويُعدّهم لتلقّي الرحمة والمغفرة الإلهيّتين[٢]، كما يمكن للتوسّل بالصالحين والمقرّبين من الله أنْ يمهّد الطريق أمام النجاة من الظلم ومن آثاره المشؤومة[٣].

وفي بعض الموارد، عندما يتجاوز الظلم حدود الذات ويتعدّاها إلى حقوق الآخرين، أو يتسبّب ببروز مشكلات واختلالات عند الآخرين، ففي هذه الموارد لا يكفي الاستغفار وحده، وإنّما يفيد الاستغفار عندما تكون مقدّمات رفع آثار الظلم معدّة وشروطه متوفّرة، وإحدى هذه الشروط تعويض الخسائر الحاصلة عند ظلمه؛ بمعنى أنّ الاستغفار سيكون مفيدًا عندما تُسترجع حقوق الآخرين ويتمّ تحصيل رضاهم بإعطائهم حقوقهم[٤].

ومعنى ذلك أنّ التوبة ستُقبل إذا ما أرفقت بالإصلاح وتعويض الخسائر الحاصلة.

وفي موضع آخر يرى القرآن أنّ وجود القادة الأكفّاء المجاهدين المتحلّين بالأخلاق المحمودة، والباذلين أنفسهم في سبيل تحرير المستضعفين من الظلم، هو جزء من ضرورات ولوازم المجتمع الإنسانيّ للفكاك من أسر الظلم، وهو يبيّن ذلك في سياق توبيخ أولئك القادرين على مساعدة المستضعفين، غير أنّهم يتمنّعون عنها، وفي سياق تصوير مطالب المستضعفين بالمطالبة بالوليّ والناصر[٥].

وإضافة إلى ضرورة وجود قائد حقيقيّ في مسيرة التحرّر من ربقة الظلم، لا بدّ للناس من تحقيق بعض الشروط والمقدّمات كـ: "الإيمان وإقامة الصلاة"، و "التوكّل على الله"، و

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٨٧ – ٨٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ١١٠، و سورة آل عمران، الآيات: ١٣٥ – ١٣٦.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٩٨.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٩.
(٥) سورة النساء، الآية: ٧٥.

"التسلّح بالدعاء"[١]، و "الشكر لله"[٢][٣]، وقد صوّر القرآن الكريم هذه الحقائق في طيّات نقله لحادثة نجاة بني إسرائيل من سلطة فرعون الظالم فقال:

"فقالوا على الله توكّلنا ربّنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجّنا برحمتك من القوم الكافرين وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشّر المؤمنين"[٤].

إذاً فمن طريق بيان حدود ومجالات كلّ من العدالة والظلم، وتعيين القوانين التي تتمحور حول العدل والنافية للظلم، وبالترغيب في التزام العدالة ومحاربة الظلم، وببيان طرق التخلّص منه، وبوضع السنن الإلهيّة الحاكمة على أعمال الظلم، عبر كلّ ذلك ننتهي إلى أنّ مستقبل البشريّة هو مستقبل مشرق يفتح أمام الإنسان آفاق الرجاء والأمل. وبالنظر إلى المباني المحكمة والعقلانيّة التي ينبني عليها الفقه الإسلاميّ، فقد تحقّقت الأرضيّة اللازمة لانتشار هذا الفقه الإنسانيّ الإسلاميّ في المجتمعات البشريّة وانبعثت البشرى بذلك.

(١) سورة النساء، الآية: ٧٥.
(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٢٣ – ٢٨.
(٣) راجع: تفسير الميزان – السيد الطباطبائي – ج ١ – ص ٣٥٨: وهي هنا مسلك ثالث مخصوص بالقرآن الكريم لا يوجد في شيء مما نقل إلينا من الكتب السماويّة، وتعاليم الأنبياء الماضين سلام الله عليهم أجمعين، ولا في المعارف المأثورة من الحكماء الإلهيين، وهو تربية الإنسان وصفاً وعلماً باستعمال علوم ومعارف لا يبقى معها موضوع الرذائل، وبعبارة أخرى إزالة الأوصاف الرذيلة بالرفع لا بالدفع.
(٤) سورة يونس، الآيات: ٨٥ – ٨٧.

المصادرو المراجع

١. اخلاق در قرآن؛ آية الله محمد تقي مصباح يزدى، تحقيق و نگارش : محمد حسين اسكندرى، قم، مؤسسه آموزشى پژوهشى امام خمينى (قدس)، الطبعة السابعة، ١٣٨٠ هـ. ش.

٢. بحار الأنوار؛ العلامة المجلسي، بيروت، مؤسسة الوفاء – دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية المصححة ، ١٤٠٣ ق ١٩٨٣ م.

٣. البيان في تفسير القرآن؛ آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥ – ١٩٧٥ م.

٤. پيشوايان هدايت؛ السيد منذر الحكيم، المترجم: عباس جلالى، قم، مجمع جهانى اهل بيت (عليهم السلام)، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ ش. / ١٤٢٧ ق. / ٢٠٠٦ م.

٥. التحقيق في كلمات القرآن الكريم؛ حسن مصطفوى، طهران ، بنگاه ترجمه ونشر كتاب، ١٣٦٠ هـ. ش.

٦. تفسير نمونه؛ ناصر مكارم الشيرازى، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧٤ هـ. ش.

٧. جامع السعادات؛ ملا محمد مهدي النراقي، تحقيق وتعليق: السيد محمد كلانتر، تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر، النجف الأشرف، دار النعمان للطباعة والنشر.

٨. الحياة الطيبة؛ مجلة فصليّة تخصصيّة، سازمان مدارس وحوزه هاى علميه خارج از كشور، عدد ٨.

٩. الصحاح؛ الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

١٠. عوالي اللآلي؛ ابن أبي جمهور الأحسائي، تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي، قم، سيد الشهداء، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ق ١٩٨٣ م.

١١. عيون الحكم والمواعظ؛ علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، قم، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ. ش.

١٢. الفروق اللغوية؛ أبو هلال العسكري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى، شوال المكرم ١٤١٢ هـ.

١٣. الكافي؛ ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، تهران، دارالكتب الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ هـ. ش.

١٤. مجمع البحرين؛ الشيخ الطريحي، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ - ١٣٦٧ هـ. ش.

١٥. المدرسة الإسلامية؛ السيد محمد باقر الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر (قده)، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

١٦. مستدرك الوسائل؛ الميرزا النوري، بيروت، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى المحقّقة، ١٤٠٨ - ١٩٨٧ م.

١٧. معجم مقاييس اللغة؛ أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ.

١٨. مفردات غريب القرآن؛ الراغب الأصفهانى، دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.

١٩. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام؛ الشيخ هادي النجفي، بيروت، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ ق ٢٠٠٢ م.

٢٠. الميزان في تفسير القرآن؛ منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.

٢١. ميزان الحكمة؛ محمد الريشهري، قم، التنقيح الثاني: ١٤١٦ هـ، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٣٧٥ هـ. ش.

٢٢. نهج البلاغة؛ الشريف الرضي، شرح: الشيخ محمد عبده، قم، دار الذخائر، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ ١٣٧٠ هـ. ش.

٢٣. وسائل الشيعة؛ الحر العاملي، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.